ترجمة النشاشيبي بقلمه

لما أصدر صديقنا الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي جريدته (البرهان) في طرابلس الشام سنة ١٩٢١ واطلع عليها المرحوم إسعاف النشاشيبي، وكان يومئذ في طور اليفاعة، راسلها بالأخبار وواصلها بالمقالات، ولم يكن الأستاذ صاحب البرهان يعرف من أمره شيئا، فكتب إليه يشكره ويسأله التعريف بأمره، فأجابه عن سؤاله بكتاب ممهب مؤرخ في جمادى الأولى سنة ١٣٤٠ وسف فيه من أمره ما كان يحس على ذكره في ذلك الحين؛ أما اليوم وقد أصبحوا جميعاً في ذمة التاريخ فلا ضير إذا نشرناه تفصيلا لما أجملنا من أمره رحمه الله

سيدي وأستاذي

أقبل يدك الطاهرة. وأتضرع إلى الله أن يشد أزرك، ويكون ردءك، ويبلغك ما تسمو اليه نفسك ويطيل بقاءك، فان ببقاءك بقاء الفضل والعلم والآداب. وبعد فقد جاءني كتاب الأستاذ أعزه الله وقرأته فأنست من كرم أخلاق صاحبه، وحدبه علي، وشغل باله من أجلي، ما شدهني وحيرني، وما استعبدني للاستاذ واسترقني. فلله أنت يامولاي، ولله أدبك؛ يأمرني الأستاذ أن أفرش له دخيلتي، وأوضح له أسباب شقاوتي. فانه رآني بكتبي اليه وبمقالاتي جميعها شقياً بائساً، حرج الصدر، ضيق النفس، مضطربا. وها أنا أسرد على سيدي قصتي. وعلة غصتي، مجملا ذلك إجمالا، إذ أمر التفصيل يطول.

فاسمع حديثي فانه عجب يضحك من شرحه وينتحب

إن سبب شقائي أدبي وأبي وأمي والمال. ذهبت منذ ١١ سنة إلى بيروت، ودخلت مدرسة فيها، وأنفقت أربعة أعوام. ثم جئت والدي وقلت له إني لم أظفر في هذه المدرسة بما تمنيته. فابعث بي إلى فرنسا أو سويسرا كي أتم ما ابتدأت به، وكي أتحلى بالعلم والفضل. فأكون فخراً لك. فاستحقر هذا الوالد مطلوبي وأنكره. وأبى أن يوصلني إلى أمنيتي، وأراد أن أرى الدنيا بعينه وأنا لا أريد أن أراها إلا بعيني. وبغى أن أذر العلم وأدير أعماله وقراه. وبغيت أن أكمل تحصيلي، حتى إذا كمل اهتممت بأشغاله. وقد قلت له أن غلاما صغيراً عمره (١٧) سنة ليس من العدل ولا العقل أن تميله عن الدرس وتقسره على العمل. فلم

قوم كانوا قريب عهد بالخط فوقع فيه الخطأ والنقص والإشكال. والغرض من كتابة القرآن أن نقرأه صحيحاً لنحفظه صحيحا، فكيف نكتبه بالخطأ لنقرأه بالصواب، وما الحكمة في أن نقيد كتاب الله بخط لا يكتب به اليوم أي كتاب؟ وإذا احتجنا في دفع هذه الأقوال إلى غير الوجدان فلن يصح في الأذهان شيء كما يقول أبو الطيب.

بقي أن نعرف من هو المحدث الذي يملك حق الوضع. أهو فرد معين أو جماعة معينة كما كان يظن الأوائل، أم هو كل فرد وكل جماعة يتكلمون العربية وتدعوهم الحاجة إلى وضع اللفظ للمعنى الذي ولدوه، وللشيء الذي أوجدوه؟ إن حق الوضع حق مطلق لا يتخصص بأحد ولا يتعلق بظرف، يملكه الفرد والجماعة، وتملكه الخاصة والعامة؛ فالعلماء يضعون مصطلحات العلوم، والرياضيون يضعون مصطلحات الرياضة، والأطباء يضعون مصطلحات الطب، والفقهاء يضعون مصطلحات الفقه، كما أن الصناع يضعون لغة المصنع والورشة، والزراع يضعون لغة الحقل والحظيرة، والتجار يضعون لغة الدكان والسوق، ومجمع اللغة يشارك هؤلاء وأولئك في الوضع والتعريب، ويختص دونهم جميعا بالتسجيل والتصديق. فأيما كلمة توضع لا تدخل في اللغة قبل أن يسمها بميسمه ويدخلها في معجمه؛ وبدون ذلك تقع فيما وقع الأولون فيه من تعدد الوضع في المرتجل واختلاف الصيغ في المشتق.

وإذا سمحتم أيها السادة أن أجعل لهذه الكلمة نتيجة إيجابية فأني اتقدم إلى معالي رئيس المجمع باقتراح يشمل أربعة أمور أرجو أن يأذن في عرضها عليكم لتحصوها وتصدروا قراركم فيها:

١ — فتح باب الوضع على مصراعيه بوسائله المعروفة وهي الارتجال والاشتقاق والتجوز.

٢ — رد الاعتبار إلى المولد ليرتفع إلى مستوى الكلمات القديمة

٣ — إطلاق القياس في الفصحى ليشمل ما قاسه العرب وما لم يقيسوه، فان توقف القياس على السماع يبطل مفعوله.

٤ — إطلاق السماع من قيود الزمان والمكان ليشمل ما يسمع اليوم من طوائف المجتمع كالحدادين والنجارين والبنائين وغيرهم من كل ذي حرفة.

فاذا أقررتم هذا الاقتراح أيها السادة دفعتم مرة العدم والعقم عن هذه اللغة الكريمة التي سمقناها في القرن الخامس. تصف ناقة طرفة فتسمي أعضاءها عضواً عضواً، وتنعت أوضاعها وضعاً وضعاً، في ٣٤ بيتاً من معلقته؛ ثم نراها في القرن العشرين تقف أمام سيارة فورد بكاء بلهاء، تشير ولا تسمي، وتجمجم ولا تبين. وإني أشكر لكم يا سادتي حسن التفاتكم وكرم اصغائكم؛ والله يهدينا الطريق ويلهمنا التوفيق.

حسن الزيات

يخفل بقولى ولا يطاوعنى . وأخذ يضغط على ويشد . ويريد أن يخلقنى بأخلاقه . وأنا كلما ازداد ضغطه ازداد عنادى . وإصرارى على رأيى . فأنا ووالدى منذ سبع سنين فى نضال وجدال ، وشغب وصخب ، بسبب هذا المشكل الذى لم يحل حتى يومنا هذا . ولوالدى بمقاومتى فى أمر العلم والأدب غير ذلك الضغط فصول مضحكة جدا منها أنه يذهب إلى الجرائد التى تنشر فى القدس ويافا فيتضرع إلى أصحابها ألا تنشر لى شيئاً . ومنها أن وكيل (الأهرام) بادر سنة يطلب منه قيمة اشتراكه ، فدفعها وقال له : لعلها لا تعجبه . فسأله الوكيل لماذا ؟ قال لأنكم تنشرون لولدى كل ما يبعث به اليكم . ومنها أن فريقا ممن ظلم اليراع فى سوريا وفلسطين يجد خير طريق لنيل الشهرة أن يطعن فى ويسبنى . فإذا قرأ والدى ذلك يركض إلى ويقول : أنظر إلى نتيجة العلم والأدب ! ما نالنا منه إلا السب والشتم . ومن العجب أن الرجل متعلم متنور مطلع ، وهو من الأفذاذ فى هذا اللواء ، وممن يسعون فى نشر العلم . ويحضون الناس عليه ، وينفقون فى خدمته ما ينفقون . يريد أن ترتقى أولاد سواه ولا يريد أن يرتقى ولده الوحيد ، وجناه فى هذا العالم ! وإذا لامه بسبب ذلك أحد يقول له إن العلم طريق للمال . فإذا نال المرء المال وجب أن يلهو به عن سواه . وإنى كتبت لولدى من القرى والأملاك ما كتبت فيجب أن ينبذ ما هو فيه ويعكف على الشىء المفيد . وقد بينت لوالدى وللناس أن طلب العلم لا يعيقنى عن إدارة اشغالى . وإن من يضيف إلى المجد المالى والمجد النفسى المجد العلمى والأدبى لن يكون مجنوناً . وإن والدى يجب أن يحمد الله الذى شغلنى بهذا ولم يشغلنى بعشق الفتاة الفلانية الاسرائيلية أو المسيحية ، والانغماس فى الشهوات كما شغل سوای من أبناء السراة الأغنياء من عائلتى وغيرها الذين يعرفهم هو واحداً واحدا . كنت مع هذا الرجل فى مشكلة واحدة فأبى الشقاء إلا أن يعقبها باختها . فأراد والدى منذ ثلاث سنين أن يتزوج امرأة أخرى (وهو فوق الستين) ، فجاءنى وقال لى : ليس لى من ولد سواك ، وإنى أخاف الحوادث (يعنى يخاف أن أفطس) فأريد أن أتزوج . فقلت له : تزوج أربعين امرأة . فهذا مما يسرنى . لكن ارفع ضغطك وشدتك عنى . فقد كدت تقتلنى . فلما تزوج أكبرت أمى عمله ، وأبت أن تسكن معه . فغادرت إكراما لها دار أبى واستأجرت بيتا حقيراً أو كوخاً . وسكنا معا . فأسخط هذا العمل أبى ، وأجبرنى على أن أعود وإياها فأبت وأبيت حذرا من الشقاق والصياح الذى يقع بين الضرائر (وسيدى سيد العارفين بأحوال المرأة والعائلة الاسلامية واضطرابها) . فازدادت حينئذ الشدة والمحنة حتى آثرت الانتحار (كنا فى مشكلة واحدة فصرنا فى اثنتين ؛ والآن يأتى ذكر الثالثة) . ولم يمض على ذلك سنة أو أقل حتى بدا لوالدى أن يبيع (وكالة باتة ، القوة) فى المحكمة الشرعية بأملاكى جميعها (وأملاكى هو الذى كتبها لى ، وأصل المال من الوالدة) فقلت : هذه هى الطامة الكبرى ، ورفضت طلبه . عندئذ ازداد الضغط وازداد طغيانه . والوالد ؛ فتذبذبت بين أمرين إما الانتحار ، وإما السفر إلى أوروبا ومغادرة هذه البلاد . فبعت قطعة أرض لى بثمن قليل ليوصلنى إلى جنيف . ويكفينى سنة واحدة ثم قلت : يخلق الله مالا تعلمون . فلما علم بما أتيت عمل ما عمل

وكان ما كان مما لست أذكره فظن شراً ولا تسأل عن الخبر

فتركته حينئذ وقطعت كل علاقة به واجتزأت بعشر ليرات سر أنفقها على وعلى أمى . وقلت لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً . وقد أحدث الله نصف أمر : فانتخب والدى مبعوثا . استفادت القدس بانتخاب والدى لأنها لن تجد خيراً منه على ما أظن ، واستفدت أنا لأنه تركنى فاستريحت قليلا وتنفست . والحمد لله على كل حال . وهنا نكتة جميلة أذكرها لسيدى : لما فض مجلس المبعوثان اجتمع روحى بك الخالدى فى ناد فى الأستانة . فقال له أحد أصحابه : إنا نجد فى الجرائد ذكر اسعاف النشاشيبى من القدس كثيراً ونطالع له ما نطالع ، وأظنه يصلح للنيابة . فتبسم روحى من قوله . وقال إن اسعافا لم يجز له حتى الآن أن ينتخب المنتخب الثانوى فضلا عن أن ينتخب مبعوثا . هذا صحيح لكن إكراما لذلك الرجل فقد أرسلت والدى المبعوثان بالنيابة عنى ... ...

هذه قصتى مع والدى أورسيل والد (ابن الزيات) الأديب الوزير . وهى مجملة كثيراً . ولو أردت التفصيل لطال الأمر جدا . ولا يظن سيدى أن والدى استأثر بهذه الخلائق الغريبة (وان كان قد سبق فيها غيره) فآباء الأسر (الشريفة) الماجدة فى هذه الطبائع سواء . و (كل تراه من أبيه شاكيا) غير أن ألم ما

واحد من الأنباء بمقدار شعوره واحساسه وعقله .

يقول سيدى: الآن فهمنا قصتك فاسبب هذا الميل إلى (البرهان)[1] إذ لكل شيء في الكون سبب. فأجيب إن للاستاذ المغربي استيلاء على نفس (إسعاف) غريب لم يستوله أحد سواه والله . وقد كنت أطالع أقواله كلها على كرهي لقراءة أقوال المعاصرين . وأذكر أني اطلعت له في جريدة طرابلسية على فصل من كتابه (أحسن القصص) منذ تسعة أشهر أو أكثر أو أقل . وقد كنت قرأت التاريخ النبوي في كتب جمة ، ثم أطلعت على من قرأ هذا الفصل من أوله إلى آخره . ولقد وطنت النفس يوم سافرت إلى سوريا منذ سنتين على أن أحج إلى طرابلس لأرى فخرها . فحال دون ذلك مرض عراني وأنا في دمشق . وقد احتفي بي علماء دمشق وعلماء بيروت حين زيارتها احتفاء عظيما انساني أني أنا اسعاف : ذلك الغلام الصغير الحقير . ومن الذين غمروني باحسانهم وأكرموا مثواي الأستاذ البيطار والقاسمي وكرد علي والشرتوني والبستاني وغيرهم؛ أكرموني وهم يعلمون كما علم الأستاذ أني أمي جاهل . لكن اتبعوا قول أديب خراسان في ذلك الزمان .

لا تعجبن من عراق رأيت له
بحراً من العلم أو كنزاً من الأدب
واعجب لمن يبلاد الجهل منشأه
إن كان يفرق بين الرأس والذنب

علم سيدى ميلي اليه قبل انشاء جريدته ؛ فلما صدر (البرهان) وجاءني دون طلب مني، ورأيته ينظر إلى الحالة السياسية كما أنظرها أنا — ارتحت اليه أي الارتياح ، وأنشأت تلك الكلمة ثم أردت أن أخدم (البرهان) بما يجب على فعاق الذي عاق .

(أهم بأمر الحزم لو أستطيعه
وقد حيل بين العير والنزوان

وكيف لا أجنح إلى خدمة أفضل جريدة في سوريا لأكبر كاتب سوري ، وأنا أرى مثل جريدة المفيد (وهي كما يعلم سيدى ويعلم أصحابها) سخيفة لسخفاء ، عامية لعوام ، يقدم لها المنتدى الأدبي في الاستانة (٥٠٠) ليرا عثمانية . كما أخبرني رئيس المنتدى نفسه يوم جاء القدس . وقد بينت له قدر الجريدة وقدر أصحابها فحوقل واسترجع . أنا يا سيدى لم أعتد مساعدة الجرائد ولا خدمتها . ولست مشتركا إلا بالبرهان وفي جريدة أخرى بيروتية كان صاحبها وكيلي أيام كنت في بيروت . وأما باقي الجرائد التي تأتيني وهي قليلة فهي تقدمة من أصحابها . بيد أني أود مساعدة (البرهان) وخدمته لأني أهوى صاحبه . وأكبر دليل على أني أهواه أن أطلعته على ما لم أطلع عليه أحدا ، وذلك أنه في رسالي مرة عابية بما لم أطالب به أصحاب (الجريدة) و (الأهرام) وغيرهم ؛ بل لم يكن لي معهم علاقة ، ولم أكن مشتركا في جرائدهم ولم تكن تأتيني .

الآن مل الأستاذ وضجر من حوادث اسعاف أو حوادث تلك وصاح : من أين جاءنا هذا الفرد يسرد علينا ما لا يهمنا وما لا يعنينا . حسبنا الله ونعم الوكيل على إسعاف وعلى فلسطين التي أخرجت هذا الولد . ولكن إذا علم أني ولد (والولد لا يعاتب) خف سخطه علي وربما خطر في باله بعد قراءة ما قرأ أن ينشيء مقالتين : (المقالة الأولى) الآباء والأبناء وعدم اتباع الآباء هذه القاعدة (لا تقسروا أولادكم الخ) و (الثانية) في أولاد السراة الأغنياء الذين أنعم الله عليهم فانغمسوا في الشهوات ، وأعرضوا عن العلم والأدب مع أنهم أقدر الناس على تحصيلهما بما توفرت لهم الأسباب . فاذا عزم سيدى على كتابة ذلك فأتضرع اليه ألا يشير إلي ولا يجري لي ذكراً ، فإن ذلك يضرني ، كما أرجو ألا يطلع على هذا الكتاب سوى الأستاذ فإن فيه أسراراً عائلية كتمها واجب .

ولدكم

اسعاف النشاشيبي

(١) البرهان جريدة للاستاذ المغربي كان يصدرها في طرابلس الشام قبيل الحرب الكبرى الأولى

ادارة البلديات العامة ـ مباني

تقبل العطاءات ببلدية سوهاج لغاية ظهر ١٧ يناير ١٩٥٠ عن انشاء مباول ومراحيض بسوهاج وتطلب الشروط من بلدية سوهاج نظير جنيه بخلاف اجرة البريد .

٣٨٣٣